

تفسير البحر المحيط

@ 233 @ الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو . وقال النقاش : إنما سألت لما سمع وعظ مؤمن آل فرعون { ءَامَنَ يَاقَوْمَ إِنِّ زَيْ أَخَافُ عَلَائِكُمْ مِّثْلَ يَوْمِ }
الْأَحْزَابِ { الآية فرد علم ذلك إلى الله لأنه لم يكن نزلت عليه التوراة . وقيل لما قال {
إِنِّ زَيْ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ أَنَّا الْعَزَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى } قال
فرعون { فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى } فإنها كذبت ثم إنهم ما عذبوا . وقيل : لما
قرر أمر المبدأ والدلالة القاطعة على إثبات الصانع قال فرعون : إن كان ما ذكرت في غاية
الظهور فما بال القرون الأولى نسوه وتركوه ، فلو كانت الدلالة واضحة وجب على القرون
الماضية أن لا يكونوا غافلين عنها . فعارض الحجة النقلية ، ويجوز أن يكون فرعون قد
نازعه في إحاطة الله بكل شيء وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال : ما تقول في سؤالي القرون
وتماذي كثرتهم وتباعد أطراف عددهم ، كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم ، فأجاب بأن كل
كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده { فِي كِتَابِ } ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما
يجوز عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل ، أي { لَا يَضِلُّ } كما تضل أنت { وَلَا
يَنْسَى } كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة قاله الزمخشري . .
والظاهر عود الضمير في { عَلِمُهَا } إلى { الْقُرُونِ الْأُولَى } أي مكتوب عند ربي في
اللوح المحفوظ لا يجوز عليه أن يخطئه شيئاً أو ينساه ، يقال : ضللت الشيء إذا أخطجته ف
مكانه ، وضللته لغتان فلم يهتد إليه كقولك : ضللت الطريق والمنزل ولا يقال أضلته إلا
إذا ضاع منك كالدابة إذا انفلتت وشبهها قاله الفراء . وقال الزجاج : ضلته أضله إذا
جعلته في مكان ولم تدر أين هو ، وأضلته والكتاب هنا اللوح المحفوظ . وقيل { فِي
كِتَابِ } فيما كتبه الملائكة من أحوال البشر . وقيل : الضمير في { عَلِمُهَا } عائد
على القيامة لأنه سأله عن بعث الأمم . وقال السدي { لَا يَضِلُّ } لا يغفل . وقال ابن
عيسى { لَا يَضِلُّ } لا يذهب عليه تقول العرب ضل منزله بغير ألف . وفي الحيوان أضل
بعيره بالألف . وقيل : التقدير { لَا يَضِلُّ رَبِّي } الكتاب { وَلَا يَنْسَى } ما فيه
قاله مقاتل . وقال القفال { لَا يَضِلُّ } عن معرفة الأشياء فيحيط بكل المعلومات { وَلَا
يَنْسَى } إشارة إلى بقاء ذلك العلم أبد الآباد على حاله لا يتغير . وقال الحسن : لا يخطئه
وقت البعث ولا ينساه . .

وقال مجاهد : معنى الجملتين واحد وهو إشارة إلى أنه لا يعرض في علمه ما يغيره . وقال
ابن جرير : لا يخطئه في التدبير فيعتقد في غير الصواب صواباً وإذا عرفه لا ينساه ، وقال

